مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

التكلف في أبواب الصفات والقدر والغيبيات

دراسة نقدية

الدكتور عبد الرحمن علي محمد ذويب
أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص:

تناولت هذه الدراسة مسألة التكلف في أبواب الصفات والقدر والغيبيات، وأسباب ودوافع التكلف، والرد على المتكلفين.

وكذا التكلف في باب الصفات الإلهية، والذي يتحقق في مسلكين: مسلك الخوض في كيفيات الصفات والتشبيه، ومسلك رد الصفات أو تأويلها.

ومما تناولته الدراسة التكلف في باب القدر والذي يتحقق في البحث عن أسرار القدر التي لا يعلمها إلا الله تعالى، كالبحث في حكمة أفعاله عز وجل، ونحو ذلك، مما هو غائب عن الخلق.

ومما بينته هذه المباحث التكلف في باب الغيبيات، ويتحقق في مسلكين: مسلك الخوض في الكيفيات والبحث في تفاصيل أمور الغيب، ومسلك في تأويلها وردها، عن حقيقة الإثبات الذي يعلمه الكافة من المسلمين.

ومما تناولته الدراسة كذلك الرد على المتكلفين وذلك من خلال معرفة أسباب التكلف وطرق دفعها.

وأخيراً: توصل البحث إلى فساد التكلف في العقيدة بشتى صوره، وأنه انحراف عن الجادة، ومآله شر.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

د. عبد الرحمن علي محمد ذويب

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمدُه ونستغفره ونستعينه ونستهديه ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهْدِ اللهُ فلا مضِلَّ له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أنْ لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه اللهُ رحمةً للعالمين هادياً ومبشراً ونذيراً.

أما بعد:

فإن من أعظم النعم التي تفضل بها الحق سبحانه وتعالى على خلقه أن هداهم لدينه ووفقهم اتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أعظم خصائص وسمات هذا الدين سماحته وبعده عن التكلف بشتى صوره، فلا تحتاج لكبير عناء للوصول إلى هذه الحقيقة.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة ص:٨٦]

فإذا نظرت إلى الجانب العلمي الاعتقادي وجدت كل مسائله مبنية على الوضوح واليسر والبعد عن التكلف من جهة استدلالاته وبراهينه ومن جهة قضاياه، لأنها حق وصدق ومطابقة للواقع، فلا تحتاج لتمويهات المتكلفين وتكلف المتنطعين حتى يستحسنها الناس ويقبلونها بخلاف الأديان المحرفة والمبدلة والبدع المضلة التي لا تنفك عن التكلف بشتى صوره.

وأما الجانب العملي في الدين فهو بعيد كل البعد عن التكلف فقد حذر الإسلام من صنيع المتكلفين والغالين في غير موضع من الكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وعن هذا النذير تخلف فئام من الناس وركبوا أهواءهم وتجشموا سلم التكلف والتعمق والنظر إلى ما لا يفيد ولا ينفع، وتجاوزوا نصوص الوحيين، وبحثوا عما لا يدرك بلا برهان ولا بينة، فتاهوا وتخبطوا، ولم يصلوا بعد العناء والمشقة إلا للظن والتخمين والشك.

ويظهر التكلف جلياً في البدع الاعتقادية فلا تخلو بدعة من تكلف وتمحل سواء كان في المسائل أو في الاستدلال، وهذا يدل على فسادها وبطلانها، لمعارضتها سماحة الدين والعقيدة.

وهذا البحث إن شاء الله سيتناول قضية التكلف في الجانب الاعتقادي وسيوضح ويناقش التكلف في أبواب الصفات والقدر والغيبيات وما تعلق به من مسائل وآثار وأمثلة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

أهداف الدراسة:

أولاً: بيان حقيقة التكلف في العقيدة وبيان أمثلته، ودوافعه.

ثانياً: إظهار صحة مذهب أهل السنة في العقيدة بتوافقه مع سماحة الإسلام وبعده عن التكلف.

ثالثاً: كشف تمويهات أهل البدع وتكلفاتهم والرد عليها من خلال بيان النهي عن التكلف وبيان أسبابه.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة علمية لموضوع التكلف وما يتعلق به من مسائل في العقيدة ولكن وقفت على دراسات تناولت موضوعات لها علاقة، مثل دراسات حول الغلو والتطرف وهي كثيرة جداً، والتي تتناول في مجملها فرقاً كالخوارج ومن تبنى فكرهم قديماً وحديثاً. والله أعلم.

خطة البحث

المقدمة: وفيها أهداف الدراسة، والدراسات السابقة، وخطة البحث

المبحث الأول: تعريف التكلف والألفاظ المقاربة له وأسبابه والنهي عنه

المطلب الأول: تعريف التكلف في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: الألفاظ المقاربة لمعنى التكلف

المطلب الثالث: نهي الشرع عن التكلف

المبحث الثاني: أسباب التكلف والرد على المتكلفين

المطلب الأول: أسباب الوقوع في التكلف

المطلب الثاني: الرد على المتكلفين في العقيدة

المبحث الثالث: التكلف في باب الصفات الإلهية

المطلب الأول: تكلف الكلام في كيفية الصفات الإلهية

المطلب الثاني: التكلف في تأويل الصفات الإلهية

المبحث الرابع: التكلف في معرفة أسرار القدر

المبحث الخامس: التكلف في الغيبيات

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الأول: الخوض في الغيبيات

المطلب الثاني: الخوض في تأويل الأمور الغيبية

الخاتمة.

المبحث الأول

تعريف التكلف والألفاظ المقاربة له وأسبابه والنهي عنه

المطلب الأول: تعريف التكلف في اللغة والاصطلاح:

تدور الأحرف الأصلية لهذه الكلمة ومشتقاتها على معنى الإيلاع بالشيء والتعلق به، والتكلف على وزن التفعُّل: والتّفعُّل هو للتكلف غالباً"[١] " ويدل على المكابدة وبذل الجهد"[٢]

قال ابن فارس: "الكاف واللام وَالفاء أصلٌ صحِيحٌ يدلُّ عَلَى إيلاع بِالشَّيءِ وتعَلُّق به، مِن ذلِكَ الكلف، تقول: قد كلِف بِالأَمرِ يَكلف كلفًا، ويَقولون: لا يكن حُبُّك كلفًا، ولا بُغضُكَ تلفًا.

- وَالْكُلْفَةُ: مَا يُتكلَّفُ من نائبةٍ أو حقٍّ.
- والمتَكلِّفُ: العِرِّيضُ لِمَا لا يَعْنِيهِ، قَالَ تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة ص:٨٦]
- ومِن البابِ الكلفُ: شيءٌ يَعلُو الوَجهَ فيُغَيِّر بشرتهُ"[٣].

قال ابن دريد: "والكَلَف كَلِفَ بالشَّيْء يكلَف كَلَفاً، إذا أحبّه فَهُوَ كَلِفٌ بِهِ.

- وتكلّفتُ الشَّيْء تكلُّفاً، إذا تجشّمته.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، ج ٣،ص ٢٦٢، الناشر: دار الهداية.

(٢) معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، ج١، ص١١٢، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

(٣) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، ج٥، ص١٣٦، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

- وَذُو كُلاف: مَوضِع. والكُلْفَة من التكلُّف.
- والتّكلفة: تكلفتُك الشيءَ وتحمُّلك إيّاه.
- والكُلْفة والكَلَف: حُمرة كَدِرَة بعير أكلفُ وناقة كلفاءُ، وَمن ذلِك أُخذ الكلَف في الخدّ، إذا ظهر فِيه كدرٌ فِي لَونه، ورجل مكلَّف، إذا كان يتكلّف مَا لم يُؤمر بِهِ"(٤)

وتكلَّفَ يتكلَّف، تَكلُّفًا، فهو مُتكلِّف، والمفعول مُتكلَّف ومعناه على وجوه:

- تَكلَّف: تعرَّض لما لا يعنيه.
- تَكَلَّفَ الأَمرَ: تجشمه على مَشقَّة.
- تَكَلَّفَ الشيءَ: حَمَلَه على نفسه وليس من عادته.

والخلاصة: التكلف معناه في اللغة التعلق بالشيء والخوض في الأمور التي فيها مشقة وعنت وتعرض الشخص لأمور لا تعنيه ولم يُؤمر بِها.

وأما تعريف التكلف في الاصطلاح:

عرف العلماء التكلف بتعريفات كثيرة متنوعة، تتوافق ولا تتعارض، وهي مبنية على معناه في اللغة، وهو تحقق المشقة والعنت، وعدم المنفعة، قال النووي: "التكلف وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة"(٥)

---

(٤) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ج٢، ص٩٦٩، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م، وانظر: النهاية، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، ج٤، ص ١٩٧، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. وانظر: مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، ج٤، ص٤٢٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

(٥) رياض الصالحين، النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص١٤٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م. وانظر: التَّحبير لإيضاح معاني التَّيسير، محمد الصنعاني، تحقيق: محمد صُبحي بن حسن حلاق، ج٢، ص٣٥٧، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقال ابن هبيرة "وهو التتبع لكتاب الله بمشقة لا ترجع إلى التماس فائدة على سبيل التعنت والاعتراض"(٦)

وقال ابن الجوزي: "وأصل التَّكلُّف: تتبع ما لا مَنفعة فِيهِ، أَو ما لا يُؤمر به الإِنسَان، وَلَا يحصل إِلَّا بِمَشَقَّة. فأَما إِذا كان مأمُورا بِهِ وفِيه منفَعة فلَا وَجه للذم"(٧).

وقال ابن الأثير:"(التكلُّفُ): تكلفت الأمر إذا ألزمت نفسك به على مشقة ولم يلزمك، والمراد به هاهنا: كثرة السؤال والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها"(٨).

وقال ابن عاشور: "والتّكلّف: معالجة الكلْفة، وهي ما يشقّ على المرء عمله والتزامه لكونه يحرجه أو يشقّ عليه، ومادّة التّفعّل تدل على معالجة ما ليس بسهلٍ، فالمتكلّف هو الذِي يتطلب ما ليس له أو يدّعِي عِلم ما لا يعلمه"(٩)

وجميع هذه التعريفات يفسر بها التكلف؛ فالكلام فيما لا دليل عليه يعتبر تكلفاً والخوض فيما لا يدرك يعد تكلفاً والبحث فيما لا فائدة فيه يعتبر تكلفاً كذلك، "فإِن كان فِيهِ منفعة له أو لغيره أو فيما أمر بِهِ خرج عن الذّم(١٠)

---

(٦) الإفصاح عن معاني الصحاح، يحي بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، ج١، ص١٧٨، دار الوطن،١٤١٧هـ.

(٧) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ج١، ص١١٨، الناشر: دار الوطن – الرياض، وانظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج١٤، ٤٣٣، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

(٨) جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ، ج٥، ص ٥٨، الناشر: مكتبة الحلواني مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م.

(٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٣، ص ٣٠٩، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

(١٠) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحُمِيدي، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، ص٤٨، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال شيخ الإسلام: "التّكلّف المذموم مِن المتكلِّمِين والمتعبدين: وهو القول والعمل بِلا عِلمٍ وطلبٍ ما لا يدرك[١١]

التعليق على التعريفات السابقة:

الناظر إلى هذه التعريفات يجدها تعيد التكلف إلى معنيين:

الأول: قول أو فعل بلا دليل.

والثاني: طلب مالا يدرك ولا يمكن الوصول إليه.

ولهذا فإن أشمل التعريفات تعريف شيخ الإسلام وذلك لأن المشقة، وعدم المنفعة، وعدم الأمر، ترجع من جهة المعنى إلى طلب مالا يدرك بلا دليل؛ فالمشقة متحققة في البحث عما لا يدرك وطلب ما لا دليل عليه، وعدم المنفعة وعدم الأمر متحققة في طلب ما لا يدرك بلا دليل كذلك، والبحث عما لا يدرك بلا دليل لا يزيد الإنسان إلا عمى، وتيهاً وحيرة، فهو لا يعدو أن يكون ظناً وتخميناً.

وأما تعريف ابن هبيرة وهو قوله "تتبع القرآن بمشقة على سبيل الاعتراض" يعترض عليه من وجوه:

الأول: في جعله التكلف تتبع القرآن والتكلف أشمل من ذلك فقد يكون تكلف في الكتاب أو السنة أو في أصل من أصول أو فرع من الفروع.

الثاني: جعله المتكلف يقصد الاعتراض، ونية الاعتراض ليست لازمة فقد يكون الأمر فيه تكلف دون وجود تلك النية فضلاً عن صعوبة معرفة النيات والمقاصد فهي أمر باطن.

---

(١١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج٤، ص ١٣٨، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثاني: الألفاظ المقاربة لمعنى التكلف:

هناك ألفاظ مقاربة لمعنى التكلف نورد بعضها:

أولاً: من المعني المقاربة لمعنى التكلف الغلو والغلو هو مجاوزة الحد، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء:١٧١] قال أهل التفسير في معنى الآية: "نهى اللّه سبْحانه أهْل الْكتاب عنْ الْغلوّ في الدّين من طريقيه: في التّوحيد، وفي الْعمل؛ فغلوّهم في التّوحيد نسْبتهم له الولد سبحانه، وغلوّهم في العمل ما ابتدعوه من الرّهْبانيّة في التّحليل والتّحريم والعبادة والتّكليف"[١٢]

وأصل الغلوّ في كلِّ شيءٍ: مجاوزة حدِّهِ الذِي هو حدّه[١٣] "ومجاوزة الحدِّ فيه إلى حيِّز الإسراف"[١٤] والغلوّ المبالغة في الشيءِ والتّشديد فِيه بتجاوز الحدِّ وفِيه معنى التّعمّقِ[١٥] وهو أشد من التعمق فهو "فوق

(١٢) أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ج٢، ١٤١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

(١٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٧، ص٧٠١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

(١٤) الاعتِصام، الشاطبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ج٢، ص ١٧٠، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(١٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، ج١٣، ص ٢٧٨، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

التعمق وهو من غلا فِي الشّيْء يغلو غلواً"[١٦] والغلو في الدين سبب كل فتنة وبلية في الأقوال والأعمال الخارجة عن سماحة الدين "وخير الدّين: النمط الأوسط الذي ليس فيه غلو ولا تقصير"[١٧].

ثانياً: التّعمّق:

ومن المعاني المقاربة لمعنى التكلف معنى التعمق، فعن أنس رضي الله عنه، قال: واصل النبي صلى الله عليه وسلم آخر الشهر، وواصل أناس من الناس، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "لو مد بي الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم، إني لست مثلكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقين"[١٨].

"التّعمّق: فهو بِالمهملةِ وبتشديد الْميم ثم قافٍ ومعناه التّشْدِيد فِي الأمرِ حتّى يتجاوز الحدّ فِيه"[١٩] والتعمق: المبالغة في تكلّفِ ما لم يكلّف به[٢٠]

وهو بمعنى: المتعمِّقون في البحث والاستقصاءِ[٢١]،وفسر أيضاً: "بالمبالغة فِي طلب الشيءِ"[٢٢]

قال ابن بطة: "إياك والتعمق في الدين، فإن التعمق ليس من الرسوخ في العلم، إن الراسخين في العلم، قالوا: حيث تناهى علمهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران:٧][٢٣]

---

(١٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، ج ٢٥، ص٣٧، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(١٧) تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ص٢٩٥، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

(١٨) صحيح البخاري (**٧٢٤١**)، كتاب التمني، باب ما يجوز من اللو، وصحيح مسلم (١١٠٤) كتاب الصيام، باب النهي عن الوصال في الصوم.

(١٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج١٣، ص٢٧٨.

(٢٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ج٤، ص٢٠٣،

(٢١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص١٧٣ ، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص٢٣٦.

(٢٣) الإبانة الكبرى، ابن بَطَّة، تحقيق: رضا معطي، ومجموعة من الباحثين، ج٢، ص٨٨١، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، =

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ثالثاً: التنطع:

ومن المعاني كذلك معنى التنطع فقد روى مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هلك الْمتنطِّعون"(٢٤) قالها ثلاثًا.

والمعنى: "أي: المشدِّدون فِي غيرِ موضِعِ التّشدِيدِ(٢٥) والمتنطِّع: هو المتعمِّق البحّاث عمّا لا يعنِيهِ(٢٦) "وهم المتعمّقون الغالون"(٢٧).

وأهل التنطع "هم الذين لم يسعهم ما في الكتاب والسنة وما عليه الصحابة رضوان الله عليهم، فأخذوا يتكلفون أشياء ويستحسنون أموراً يأتون بها من قبل أنفسهم يلصقونها بالدين"(٢٨).

والمقصود مما سبق: أن هذه الألفاظ متقاربة في المعنى والجامع بينها هو مجاوزة الحد والمبالغة في الشيء، والبحث عما لم يؤمر به، وكل ذلك منهي عنه شرعاً سواء كان في المعتقد أو القول أو العمل ويندرج في هذا المعنى التكلف المذموم الذي يبحث فيما لا يدرك بلا دليل لأن فيه مجاوزة الحد المشروع والبحث فيما لا دليل عليه.

الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

(٢٤) صحيح مسلم (٢٦٧٠) كتاب العلم، باب هلك المتنطعون.

(٢٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج٢، ص٩٢، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢٦) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ج٢، ص١٧١، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢٧) تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج٢، ص١٠٥، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

(٢٨) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر،ج١، ص٣٥٦، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطلب الثالث: نهي الشرع عن التكلف

أولاً: الإسلام أمر باليسر ونهي عن التكلف والقول بلا علم

إن النبي صلى الله عليه وسلم أمر باليسر وحث عليه قولا وعملا وكانت السماحة واليسر نهجاً في حياته الخاصة والعامة حتى ثبت عنه عليه الصلاة والسلام "أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً"(٢٩) ونهى الإسلام عن التكلف في طلب علم ما حجب علمه، أو" تكلف- أمر- لم يؤمر بِهِ"(٣٠)

والنهي عن التنطع والغلو لا يقتصر على جانب دون آخر بل هو شامل لجمع مناحي الدين سواء كانت علمية أو عملية. قال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة ص:٨٦] قال الطبري في تفسيرها: "﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ يقول: وما أنا مِمّنْ يتكلّف تخرّصه وافْتِراءه"(٣١) وقال البغوي: "وما أنا مِن الْمتكلِّفِين، الْمتقوِّلِين الْقرْآن مِنْ تِلْقاءِ نفْسِي، وكلّ منْ قال شيْئًا من تلقاء نفسه فقد تكلّفه"(٣٢).

وقال ابن كثير: "أيْ: وما أزِيد على ما أرْسلنِي اللّه بِهِ، ولا أبْتغِي زِيادةً عليْهِ بلْ ما أمِرْت بِهِ أدّيْته لا أزْيد عليْهِ ولا أنْقص مِنْه وإِنّما أبْتغِي بِذلِك وجْه اللّهِ عزّ وجلّ والدّار الْآخِرة(٣٣).

وقيل في معناها: "أيِ الْمتصنِّعِين الْمتحلِّين بِما ليْسوا مِنْ أهْلِهِ، فأنْتحل النّبوّة والْقوْل على اللّهِ"(٣٤)، والتكلف أيضاً: التعسف والتشكك"(٣٥)

---

(٢٩) صحيح البخاري(٩٠) ومسلم(٢٣٢٧).

(٣٠) غريب الحديث، ابن الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، ج٢، ص ٤١٨، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٥.

(٣١) تفسير الطبري، الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٢٠، ص١٥٠.

(٣٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٤، ٧٨، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

(٣٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة،ج٧، ص٢٨، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢ ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

والمقصود بالآية عند المفسرين "ثلاثة أوجه: أحدها: وما أنا من المتكلفين لهذا القرآن من تلقاء نفسي. الثاني: وما أنا من المتكلفين لأن آمركم بما لم أؤمر به. الثالث: وما أنا بالذي أكلفكم الأجر"(٣٦)

فالتكلف المنفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب ما ليس عنده من النبوة أو قول ما لا يعلم أو التصنع والتعسف والتشكك، حاشاه عليه الصلاة والسلام من هذا كله. "وما أنا مِن الْمتكلِّفِين أفاد انْتِفاء جمِيعِ التّكلّفِ عن النبي صلّى الله عليْهِ وسلّم"(٣٧).

وقد أرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم مخاطباً له في قصة أصحاب الكهف فقال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف:٢٢]

والمعنى: "لَا تُجادِل ولا تقل في عددهم وشأنِهِم، إِلَّا مراءً ظاهِراً، إلا بظاهِرِ مَا قَصَصنا عليك، يَقُولُ حسبك ما قصصنا عَلَيْكَ فَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ وَقِفْ عِنْدَهُ"(٣٨)

---

(٣٤) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج٩، ص١٧٧، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣٥) أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب،ج١، ص٥٥٩، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م

(٣٦) تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ج٥، ١١٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٣، ص ٣٠٨.

(٣٨) تفسير البغوي، البغوي، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ج٣، ص ١٨٦، الناشر : دار إحياء التراث العربي –بيروت الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وفيه تحذير من "المماراة المبنية على الجهل والرجم بالغيب، أو التي لا فائدة فيها، إما أن يكون الخصم معاندا، أو تكون المسألة لا أهمية فيها، ولا تحصل فائدة دينية بمعرفتها، كعدد أصحاب الكهف ونحو ذلك، فإن في كثرة المناقشات فيها، والبحوث المتسلسلة، تضييعا للزمان، وتأثيرا في مودة القلوب بغير فائدة[٣٩].

ويستفاد من هذا النهي عن التعمق والتجهيل لهم أو بمشهد من الناس ليظهر صدقك وكذلك النهي عن الخوض فيما تقصر عنه الأفهام[٤٠]

وفي الحديث عن أنسٍ قال: قرأ عمر بْن الْخطّابِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ [عبس:١] فلمّا أتي على هذِهِ الْآيةِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس:٣١] قال: عرفْنا ما الْفاكِهة، فما الْأبّ؟ فقال: لعمْرك يا ابْن الْخطّابِ إنّ هذا لهو التّكلّف[٤١].

قال ابن كثير: وهذا محمولٌ على أنّه أراد أن يعْرِف شكله وجِنسه وعينه[٤٢]. وقال أيضاً: "إنّما أرادا استِكشاف عِلمِ كيفِيّةِ الأبِّ، وإلّا فكوْنه نبتًا مِن الأرضِ ظاهِرٌ لا يجهل[٤٣]

ولفظ البخاري (نهِينا عنِ التّكلّفِ)" [٤٤]، وهو موقوف لفظاً مرفوع حكماً[٤٥] والمقصود بنهِينا عنِ التّكلّف: "أراد كثرة السّؤال[٤٦].

---

(٣٩) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٤٧٣، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

(٤٠) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي ج٢، ص٢٩٥، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. وانظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ج٢، ص٣٣٧، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(٤١) تفسير الطبري (٣٠/٣٨) ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٨٠/٧) قال ابن كثير: إسناده صحيح. انظر: تفسير ابن كثير، ج٨، ص٣٢٥

(٤٢) انظر: تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج٨، ص٣٢٥.

(٤٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ج١، ص١٢.

(٤٤) صحيح البخاري، (**٧٢٩٣**) كِتاب الِاعتصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، باب ما يكرَه مِن كثرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ ما لا يَعْنِيهِ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

واليسر والبعد عن التكلف هي الصبغة العامة لمنهج الصحابة –رضي الله عنهم– ومن تبعهم وسار على نهجهم قال: عبد الله بن مسعود واصفاً الصحابة: "كانوا أفضل هذه الأمة: أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً"(٤٧). ونبذ التكلف قولا وعملا وأصبح منهجا للحياة ساروا عليه ودعوا إليه، وحرصوا كل الحرص على رد علم ما لم يعلموا لله تعالى وعدم الكلام فيما لم يحيطوا به علماً أو الكلام بلا دليل ولا برهان وإليك بعض خبرهم:

"قال ابن عبّاسٍ: – رضِي الله عنهما – إذا ترك العالِم لا أدري أصيبت مقاتله وكذا قال عليّ بن حسين وقال مالِكٌ: كان يقال إذا أغفل العالِم لا أدرِي أصِيبت مقاتِله وقال أيضًا: كان رسول اللّهِ – صلّى الله عليهِ وسلّم – إمام المسلِمِين وسيِّد العالمِين يسأل عن الشّيءِ فلا يجِيب حتى يأتِيه الوحي مِن السّماءِ وقال الشّعبِيّ: لا أدرِي نِصف العلمِ"(٤٨).

---

(٤٥) انظر: فتح الباري، ابن حجر،ج١٣، ص٢٧٢، وانظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، ج٨، ص٤٨٩، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٤٦) السُّؤَال في كِتاب الله وَالحديثِ نوعانِ: أحدهُما مَا كان على وجهِ التَّبيِين والتعلُّم مما تمسُّ الحاجة إِلَيهِ، فَهوَ مباح، أَو مندوبٌ، أو مأمورٌ بِهِ، وَالآخَر مَا كان عَلى طريق التكلُّف والتعنُّت، فَهو مكروه، ومنهيٌّ عَنْه. فكل ما كان من هَذَا الوَجه وَوَقع السكوت عن جوابه فإِنَّما هو رَدْع وزَجر للسائل، وَإِنْ وقَعَ الجَوابُ عَنه فهوَ عقوبَةٌ وتغليظٌ .

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، ج٢، ص٣٢٨، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٤٧) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ج٢، ص ٩٤٧، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م، وانظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ج١، ص١٥٩، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، ج٢، ص٥٨، عالم الكتب.

وعن عبد الله بن مسعود، قال: يا أيها الناس، من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص:٨٦] (٤٩)

"وقال الإمام أحمد: ليس كلّ شيءٍ ينبغِي أنْ يتكلّم فِيهِ وذكر أحادِيث النبِيِّ – صلّى اللّه عليْهِ وسلّم – كان يسأل فيقول: لا أدْرِي حتّى أسأل جِبرِيل عليه السلام"(٥٠)

وقد حذر العلماء من تجاوز هذا النهج والخوض فيما لا يعلم ولا دليل عليه؛ ليكون الإنسان متكلماً بالظن والتخمين والشك فيكون متخبطاً تائهاً.

قال ابن بطة: "التّكلّف لِما لم تحِطِ الخلائِق بِهِ عِلمًا بِهِ، ولم يأتِ القرْآن بِتأْوِيلِهِ، ولا أباحتِ السّنة النظر فِيهِ، فتزيد النّاقِص الْحقِير، والْأحْمق الصّغِير بِقوّتِهِ الضّعِيفةِ، وعقلِهِ القصِيرِ أن يهجِم على سِرِّ اللّهِ المحجوبِ، ويتناول عِلمه بِالغيوبِ يرِيدها لنفسه، وطوى عليها عِلمها دون خلقِهِ، فلم يحِيطوا مِن عِلمِها إِلّا بِما شاء، ولا يعلمون مِنها إِلّا ما يرِيد، فكلّ ما لم ينزِلِ الوحي بِذِكرِهِ، ولم تأتِ السّنّة بِشرحِهِ مِن مكنونِ عِلمِ اللّهِ، ومخزونِ غيبِهِ، وخفِيِّ أقدارِهِ، فلَيْس لِلعِبادِ أن يتكلّفوا مِن عِلمِهِ ما لا يعلمون، ولا يتحمّلوا مِن نقلِهِ ما لا يطِيقون"(٥١)

قال الخطابي: "المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف البحث عنه على مذاهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم"(٥٢)

ثانياً: النهي الشرع عما لا فائدة فيه وليس تحته عمل:

---

(٤٩) صحيح البخاري (٤٨٠٩) باب قوله(ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ) [ص:٨٦]

(٥٠) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، ج٢، ص٥٨، عالم الكتب.

(٥١) انظر: الإبانة الكبرى، ابن بَطَّة العكبري، تحقيق: رضا معطي، ج١، ص٤١٩، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٥٢) انظر: معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، الخطابي، ج٤، ص ٣٠٠، المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

إن الشرع حث على طلب العلم الذي يتبعه العمل ويوجب الخشية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨]

وهو العلم المحمود، "المعتبر شرعًا -أعنِي الذي مدح الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أهله على الإطلاقِ- هو العِلم الباعِث على العملِ، الّذِي لا يخلي صاحِبه جارِيًا مع هواه كيفما كان، بل هو المقيِّد لِصاحِبِهِ بِمقتضاه، الحامِل له على قوانِينِهِ طوعًا أو كرهًا"(٥٣)

فإذا فقد هذا الوصف أصبح هذا العلم غير نافع ولا مفيد وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من العلم الذي لا ينفع، فعن زيد بن أرقم، قال: لا أقول لكم إلّا كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: كان يقول: "اللهمّ إنّي أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب، القبر اللهمّ آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكّاها، أنت وليّها ومولاها، اللهمّ إنّي أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها"(٥٤)

ومعنى قوله: "اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع" هو ما لم يؤذن في تعلمه شرعا أو ما لا يصحبه عمل أو ما لا يهذب الأخلاق الباطنة فيسري منها إلى الأفعال الظاهرة ويفوز بها إلى الثواب الآجل(٥٥)

وكذلك "يحتمل أن يكون مراده: ليس مما يحتاج إليه في الدين، وليس في تعليمه إذن في الشرع"(٥٦).

ونقل ابن عبد البر إجماع العلماء على كراهية الجدل والبحث والنظر والكلام فيما ليس تحته عمل، فقال: "وقدْ أجمع أهل الْعلم بالسّنن والفقه وهم أهل السّنّة عن الْكفّ عن الجدال والمناظرة فيما سبيلهم

(٥٣) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ج١، ص٨٩، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٥٤) انظر: صحيح مسلم(٢٧٢٢)، باب ما يقول عِند النّوم وأخذِ المضجعِ، باب التعوّذ من شر ما عمِل ومِن شرِّ ما لم يعمل.

(٥٥) فيض القدير، المناوي، ج٢، ص١٠٢، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.

(٥٦) المفاتيح في شرح المصابيح، المظْهِري، ج٣، ص٢٣٤، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية – وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

اعتقاده بالأفئدة ممّا ليس تحته عملٌ وعلى الإيمان بمتشابه القرْآن والتّسليم له ولما جاء عن النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم في أحاديث الصّفات كلّها وما كان في معناها وإنّما يبيحون المناظرة في الحلال والحرام وما كان في سائر الأحْكام يجب العمل بها، قال مالك: إنّ أهل بلدنا يكرهون الجدال والكلام والبحث والنّظر إلّا فيما تحته عملٌ وأمّا ما سبيله الإيمان به واعتقاده والتّسليم له فلا يرون فيه جدالًا ولا مناظرةً"(٥٧)

ومعلوم أن التكلف في العقائد ليس تحته عمل فيندرج تحت هذا النهي، فالمتكلف يبحث فيما لا يدرك بلا دليل ولا علم.

قال الشاطبي: "كلّ مسألةٍ لا ينبني عليها عملٌ؛ فالخَوْض فيها خوضٌ فيما لم يدلّ على استحسانه دليلٌ شرعيٌّ، وأعني بالعمل: عمل القلب وعمل الجوارح، من حيث هو مطلوبٌ شرْعًا.

والدّليل على ذلك استقراء الشّريعة؛ فإنّا رأينا الشّارع يعرض عمّا لا يفيد عملًا مكلّفًا به" (٥٨)

وقال أيضاً" والسّلف الصّالح من الصّحابة والتّابعين لم يخوضوا في هذه الأشْياء الّتي ليس تحْتها عملٌ، مع أنّهمْ كانوا أعْلم بمعْنى الْعلْم الْمطْلوب"(٥٩)

وقد وجه الباجي كلام السلف في النهي عن البحث فيما ليس تحته عمل على وجهين:

"الأول: إما أن يتوجه المنع في ذلك إلى من ليس من أهل العلم ممّن يخاف أن تزلّ قدمه ويتعلق قلبه بشبهةٍ لا يقدر على التّخلّص.

والوجه الثاني: أن يتوجّه المنع في ذلك أن يتكلّم في ذلك بمذاهب أهل البدع ومخالفي السّنّة"(٦٠).

---

(٥٧) الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، ج٢، ص٥١٣، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠

(٥٨) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،ج١، ص٤٣، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

(٥٩) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان،ج١، ص٥٥، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

(٦٠) انظر: المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي ج٧، ص٢٠٢، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ- بتصرف-

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قلت: ويضاف على ما ذكر وجوه:

الوجه الأول: البحث فيما ليس تحته عمل يعد من العلم الذي لا ينفع لما يتضمنه من تضيع الوقت فيما لا يفيد وهو منهي عنه.

الوجه الثاني: إن البحث فيما ليس تحته عمل تعرض لما لا يعني العبد وهو غير مطالب به في الشرع وغير مأمور به.

أسباب نهي الشارع عن التكلف:

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أسباب نهي الشارع عن التكلف وهي الآتي:

أولاً: التكلف لا يعتمد على دليل ويخوض فيما لا يمكن الوصول إليه، وبالتالي أحكامه لا ثبات لها ولا قرار ، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة:٧٨]

"فدلّ على أنّه ذمّهم على نفي العلم وعلى أنّه ليس معهم إلّا الظّنّ وهذا حال الجاهل بمعاني الكتاب وقد حرّم سبحانه الكلام بلا علمٍ مطلقًا وخصّ القول عليْه بلا علمٍ بالنّهي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣][٦١]

والشرع مبناه اليقين والقطع " والتّكلّف في الدين والتّنطع. رجم بالظن من غير ضرورةٍ تدعو إليه، مع عدم الْأَمْن منْ العثار، وخطأ الظن، والأصل المنع من الحكم بالظن، إلّا حيث تدعو الضرورة إليه[٦٢].

وقد "ثبت عن جمعٍ من السّلف كراهة تكلّف المسائل الّتي يسْتحيل وقوعها عادةً أو يندر جدًّا وإنّما كرهوا ذلك لما فيه من التّنطّع والقول بالظنّ إذ لا يخلو صاحبه من الْخطأ"[٦٣]

---

(٦١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، (ج١٧، ص٤٤٢) ، (ج١٦، ص٩٧).

(٦٢) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، ج١، ص ٣٢٣، الناشر: مطبعة السنة المحمدية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ثانياً: المتكلف يبحث في صعاب الأمور ومشكلاتها ويدعي العلم بها والوصول إليها، مع أنه لا يمكن الوصول إليها بلا أدلة، ويخشى أن يكون هذا تصنّعاً وتشبعاً! وهو شكل من أشكال الرياء "والتكلّف والتصنّع، وهو نوع من النفاق، وضرب من الرياء[٦٤].

ثالثاً: التكلف في المسائل العلمية يتطلب مشقة للباحث فيها، والله تعالى رفع الحرج عن هذه الأمة ولم يكلفهم إلا ما يطيقون فالبحث في أمور ليس عليها دليل أو لا تدرك ولا تعلم يعد حرج وهو من "أسباب النهي عن التكلف، لما فيه من المشقة"[٦٥].

قال الشاطبي: "والتّكاليف الاعتقاديّة والعمليّة ممّا يسع الأمّيّ تعقلها، ليسعه الدخول تحت حكمها.

أمّا الاعتقاديّة –بأن تكون من القرب للفهم، والسّهولة على العقل، بحيْث يشترك فيها الجمهور من كان منهم ثاقب الْفهْم أو بليدًا، فإنّها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص، لم تكن الشّريعة عامّةً، ولم تكن أمّيّةً، وقد ثبت كونها كذلك، فلا بدّ أنْ تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ، وأيضًا، فلو لم تكن كذلك لزمه بالنّسبة إلى الجمهور تكليف ما لا يطاق وهو غير واقعٍ"[٦٦]

فالواجب اعتقاده على جميع الناس هو السهل الواضح في مسائل الاعتقاد دون الصعب المتكلف، وهذه العقيدة الوضحة "ليس فيها لبس ولا تعقيد ولا خروج عن مقتضى قواعد العقل ولا إيهام ولا ارتباك أو اضطراب. فالإسلام عقيدة يستطيع كل فرد أن يفهمها ويهضمها ويستوعبها لوضوحها وبعدها عن الغموض والتعقيد"[٦٧]

---

(٦٣) فتح الباري، ابن حجر، ج١٠، ص٤٠٧.

(٦٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ج٥، ص٤٦، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي — القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ

(٦٥) تحفة الباري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي، ج١٠، ص٢٨٠، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

(٦٦) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان،ج٢، ص١٤١، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

(٦٧) ذخائر الفكر الإسلامي، محمد عبداللطيف الفرفور، ص٣٥، دار المكتبي، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

رابعاً: التكلف بحث فيما لا فائدة فيه هو تضييع للعمر في غير طائل وهو علم لا ينفع.

"وما لا فائدة فيه هو من باب ما لا يعني الإنسان ولا يفيده، ومن باب العلم الذي لا ينفع، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع"(٦٨).

خامساً: التكلف يؤدي إلى الاضطراب والحيرة والقول على الله تعالى بلا علم "بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بأنه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح إلا مجرد الحيرة التي وجد عليها غيره من المتكلفين، فقال:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها...وسرحت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائر ... على ذقن أو قارعا سن نادم"(٦٩)

المبحث الثاني

أسباب الوقوع في التكلف والرد على المتكلفين

المطلب الأول: أسباب الوقوع في التكلف

أولاً: عدم الاعتماد التام على أدلة الكتاب والسنة

المتكلف لم يعتمد على نصوص الوحيين، لأن الوحي ليس فيه تكلفاً بل هو يسر قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾[الدخان:٥٨] ومن المعلوم أن " نبينا صلى الله عليْه وسلم قد أوتي فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه ولوامعه فبعث بالعلوم الْكلية والمعارف الأولية والأخروية على أتم الْوجوه فيما يحْتاج إليْه السالك في الْأمور الدّينيّة والدنيوية والأخروية(٧٠) "واليسْر: السّهولة، وعدم الْكلْفة في تحصيل

(٦٨) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ج٧، ص٣٢٩، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٦٩) التحف في مذاهِب السّلف، الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ص٤٧، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ، وانظر مجموع الفتاوي، ابن تيمية ، ج٣، ص٧٣.

(٧٠) الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، ص ٢٨.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المطْلوب من شيءٍ، وإذ كان القرْآن كلامًا فمعنى تيسيره يرجع إلى تيْسير ما يراد من الكلام وهو فهم السّامع المعاني الّتي عناها المتكلّم به بدون كلْفةٍ على السّامع ولا إغْلاقٍ كما يقولون: يدخل للأذن بلا إذنٍ. وهذا اليسر يحصل من جانب الألفاظ وجانب المعاني فأمّا من جانب الألفاظ فلذلك بكونها في أعلى درجات فصاحة الكلمات وفصاحة التّراكيب، أي فصاحة الْكلام، وانتظام مجْموعها، بحيث يخفّ حفظها على الْألْسنة.

وأمّا منْ جانب المعاني، فبوضوح انتزاعها من التّراكيب ووفرة ما تحتوي عليه التّراكيب منها من مغازي الغرض المسوقة هي له، وبتولّد معانٍ من معانٍ أخر كلّما كرّر المتدبّر تدبّره في فهمها[٧١]

"والله سبحانه حاج عباده على ألسن رسله وأنبيائه فيما أراد تقريرهم به، وإلزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل وأسهلها تناولا وأقلها تكلفا، وأعظمها غناء ونفعا وأجلها ثمرة وفائدة، فحججه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة، واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول، قاطعة للشكوك والشبه ملزمة للمعاند والجاحد، ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفع"[٧٢].

ثانياً: استهواء العقليات والفلسفات

إن من أسباب التكلف في العقيدة "تحكيم العقل وتحسين الظن به، واعلم أنّ اللّه جعل للْعقول في إدْراكها حدًّا تنْتهي إليْه لا تتعدّاه، ولمْ يجْعلْ لها سبيلًا إلى الْإدْراك في كلّ مطْلوبٍ"[٧٣]

ومما لا شك فيه "إن المدرسة العقلية وعلى رأسها المعتزلة حكمت العقل، وجعلته مصدرا أوليا للتلقي ودخلت بالعقل في غير مجاله، وركبوا مسلك أهل الكلام ودخلوا في جدل مع الفلاسفة في قضايا الإيمان، والأسماء والصفات، والغيبيات، وأعرضوا عن منهج الاستدلال المستمد من الكتاب والسنة الذي سار عليه

---

(٧١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٧، ص١٨٨.

(٧٢) الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، ج٢، ص ٤٦٠، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

(٧٣) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق، هشام بن إسماعيل الصيني، ج٣، ص٢٨٢، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الأسلاف والأئمة الثقات، ولو تمسك الجميع بالكتاب والسنة وجعلوهما المصدر الوحيد للتلقي، وأعرضوا عما خالفهما، واتبعوا منهج سلف الأمة في فهم أحكام الدين، أصوله وفروعه، لما حصل الذي حصل، ولكن ما وقعوا فيه كان نتيجة حتمية لتحكيم العقل في مجال غير المجال الذي خلق له(٧٤).

ويظهر التكلف جلياً عندما يخوضوا في طلب ما لا يمكن الوصول إليه وجعله غاية لهم، قال القاري: "كما يقول كثير من المتكلمة والمتفلسفة وغيرهم إنّما نريد أن نحس الأشْياء بتحقيقها أي ندركها ونعرفها بماهيتها وكميتها وكيفيتها ولم يعرفوا أن من الْأشْياء ما لا يدْرك كنهه وحقيقته كما قال الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه:١١٠] وقوله تعالى:﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام:١٠٣]

ولذا لما قال فرْعوْن: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء:٢٣] قال موسى: رب السّموات والأرْض وما بينهما، فسئل عن الذّات وأخبر عن الصّفات لتعذر معرفته كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم بقوله "لا أحصي ثناء عليْك"(٧٥) من حديث عائشة رضي الله عنها."(٧٦)

ثالثاً: تقليد الأمم السابقة

من أسباب التكلف تقلب الأمم السالفة في تكلفهم وغلوهم" والنفوس مجبولة على التشبه، والاقتداء بأبناء الجنس، وفي هذا تنبيه وإشارة إلى التحذير عن كل داع إلى باطل، يصد عن الإيمان الواجب، أو عن كماله، أو يوقع الشبهة في القلب، وعن النظر في الكتب المشتملة على ذلك"(٧٧)

التقليد في كثير من الأحيان يسيطر على القلوب والعقول فلا يجد المتكلف سبيلاً إلا الدفاع والبرهنة على ما قال به تقليداً لغيره فيتكلف ويتعمق ليجد دليلاً وحجة.

---

(٧٤) تبصير المؤمنين بفقه النصر، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، ص٣٠١، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

(٧٥) صحيح مسلم (٤٨٦)، باب ما يقال في الركوع والسجود.

(٧٦) الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، ص ٢٦.

(٧٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص ٥٠٣، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

رابعاً: اتباع الهوى

من أسباب التكلف أن نفوس مجبولة على حب الاطلاع على الأشياء التي لا تعلم، ولا يمكن الوصول إليها فيعمد المتكلف بالبحث والتنقيب عنها موافقاً لهوى نفسه، "إلّا أنّ هذه الخاصّيّة راجعةٌ في الْمعْرفة بها إلى كلّ أحدٍ في خاصّة نفْسه، لأنّ اتّباع الْهوى أمرٌ باطنيٌّ فلا يعرفه غير صاحبه إذا لم يغالط نفسه، إلّا أن يكون عليها دليلٌ خارجيٌّ"(٧٨).

المطلب الثاني: الرد على المتكلفين في العقيدة.

أولاً: التسليم لدليل السمع والمقصود به دليل الكتاب والسنة والإجماع، فلا يجوز تجاوز الدليل ومعارضته لا بعقل ولا بغيره "وكل كلام ناقض نصوص الأنبياء فإنه من الكلام المذموم بنفسه، وهو باطل قطعاً"(٧٩).

قال البربهاري: إن من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم، فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله، والسنة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والجماعة ما اجتمع عليه(٨٠)

وأهل السنة والجماعة يقرون بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الدين على أكمل وأتم وجه "وأنّه بلّغ البلاغ المبين القاطع للعذر المقيم للحجّة، الموجب للعلم واليقين لفظًا ومعنًى والجزم بتبليغه معاني القرآن والسّنّة كالجزم بتبليغه الألفاظ، بل أعظم من ذلك؛ لأنّ ألفاظ القرآن والسّنّة إنّما يحفظها خواصّ أمّته...وأمّا المعاني الّتي بلّغها فإنّه يشترك في العلم بها العامّة والخاصّة. ونشهد أنّه بلّغ البلاغ المبين، فلا يحتاج مع كشفه وبيانه إلى تنطّع المتنطّعين فالحمد للّه الّذي أغنانا بوحيه ورسوله عن تكلّفات المتكلّفين(٨١)

---

(٧٨) الاعتصام، الشاطبي، تحقيق، هشام بن إسماعيل الصيني، ج٣، ص١٧٣، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

(٧٩) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، ج٧، ص٣٣٠، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٨٠) شرح السنة، البربهاري، ج١، ص٩٩.

(٨١) مختصر الصواعق المرسلة، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، ص٥٣٥، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال عبدالغني المقدسي: " فالزم – رحمك الله– ما ذكرت لك من كتاب ربك العزيز، وكلام نبيك الكريم، ولا تحد عنه، ولا تبتغ الهدى في غيره، ولا تغتر بزخارف المبطلين، وآراء المتكلفين، فإن الرشد والهدى والفوز والرضا فيما جاء من عند الله ورسوله، لا فيما أحدثه المحدثون، وأتى به المتنطعون من آرائهم المضمحلة، ونتائج عقولهم الفاسدة، وارض بكتاب الله وسنة رسوله، عوضاً من قول كل قائل، وزخرف وباطل"(٨٢).

ثانياً: التسليم "بأن في الإسلام مسائل يتعذّر أن يدْرك بمجرّد العقل ثبوتها أو انتفاؤها، فيحاول هؤلاء أن يحتجّوا عليها، فيلْزمون، فيدْفعون، فيقعون فيما يخالف الإسلام"(٨٣)

ومما لا شك فيه أن الإنسان عاجز عن إدراك بعض الأمور فلا يصل إليها بعقله ولا بفهمه وهي ليست مطلوبة منه ولا مكلف بها "وأما المطلوبة في الشرع فإن الله تعالى أعدّ العقول العادية لإدراكها، وأعدّ لها ما يسدّدها فيه من الفطرة والآيات الظاهرة في الآفاق والأنفس، ثم أكمل ذلك بالشرع. فإذا انقاد العقل العادي للشرع، وامتثل هداه واستضاء بنوره؛ فقد أمن ما يخْشى من قصوره (٨٤).

ثالثاً: ويغني الرد على هؤلاء وأمثالهم "كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله وهما ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] فإن هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب فالكلمة منها دلت دلالة بينة على أن كل ما تكلم به البشر في ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوي التحقيق فهي منافية للعلم ومباينة له. فإن الله سبحانه قد أخبرنا أنهم لا يحيطون به علما، فمن زعم أن ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك أن صحة ذلك

---

(٨٢) الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ص٢٠٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م

(٨٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٣٧ .

(٨٤) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي، ج ١١، ص ٣٢٩، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٤ هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

متوقفة على الإحاطة، وقد نفيت عن كل فرد من الأفراد علما، فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل، إما من كل وجه أو من بعض الوجوه(٨٥)

المبحث الثالث

التكلف في باب الصفات الإلهية

المطلب الأول: تكلف الكلام في كيفية(٨٦) الصفات الإلهية:

إن الله عز وجل لا تحيط به الأوهام ولا تدركه الأفهام والإنسان عاجز عن إدراك حقيقة كثير من الموجودات وهو أشد عجزاً عن معرفة صفات الخالق عز وجل، فالله تعالى لا يقاس بخلقه ولا خلقه يقاسون به ولا يحاط به علماً، فباب الإلهيات باب توقيف، وأسعد الناس بالحق من وقف عند ذلك، ولم يتجاوز أدلة الكتاب والسنة.

وأهل السنة والجماعة وسط في باب الأسماء والصفات فلا تعطيل للصفات بحجة التنزيه ولا تمثيل بحجة الإثبات فالإثبات مع التنزيه متلازمان، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١]

ومن أهم سمات مذهبهم البعد عن التكلف في أقوالهم فهي واضحة وسهلة لأنها مستمدة من الأدلة الكتاب والسنة فهي ميسرة على عموم الناس لا غموض فيها ولا لبس، وكذلك من جهة الاستدلال لا

---

(٨٥) التحف في مذاهب السلف، الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ص٤٥، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

(٨٦) الكيف: وهو كل شيء يقع تحت جواب "كيف" أعني: هيئات الأشياء وأحوالها والألوان والطعام والروائح والملموسات كالحرارة واليبوسة والرطوبة والأخلاق وعوارض النفس كالفزع والخجل ونحو ذلك.

انظر: مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ص١٦٨، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

تكلف فيه لا غموض فلا يخرجون النص عن معناه ولا عن سياقه إلى معان بعيدة متكلفة، لم ترد في المأثور عن السلف الصالح.

فيقولون: "يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. بل تثبت له الأسماء والصفات، وتنفى عنه مشابهة المخلوقات. فيكون إثباتك منزها عن التشبيه. ونفيك منزها عن التعطيل"(٨٧).

ويعتقدون أن الخلق لا يعلمون "حقيقة وكنه ذات الله تعالى – تنزه ربنا عما يختلج في العقول من الظنون والأوهام – لا يعلم ذات الله تعالى إلا هو"(٨٨) ولا يعلم الخلق "ما أخْبر به الرّبّ عنْ نفْسه مثْل اسْتوائه على عرْشه وسمْعه وبصره وكلامه وغيْر ذلك فإنّ كيْفيّات ذلك لا يعْلمها إلّا اللّه(٨٩) قال تعالى: "﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل:٧٤]

وأما من جهة العقل" فإن الله ليس له مثيل فيقاس عليه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى:١١] وهو سبحانه لم يره أحد في هذه الحياة حتى يخبر عنه، والعلم بحقيقة أي موجود إنما يكون بإدراكه بالحواس أو بقياسه على ما يدرك بالحواس، فإذا لم نر الله في هذه الدنيا، مع تنزهه سبحانه أن يكون له مثيل يقاس عليه لم يمكن أن ندرك حقيقة ذاته وصفاته سبحانه، وإنما نعلم من ذلك ما علمنا الله تعالى، وإنما نعلم ذلك علم وجود لا علم كيفية وحقيقة"(٩٠)

---

(٨٧) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج٢، ص٨٥ الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

(٨٨) الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، محمد بن يوسف بن محمد بن سعد الحيدري التونسي الكافي المالكي، ص٥ الناشر: مطبعة السعادة بمصر.

(٨٩) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٧، ص٣٧٣.

(٩٠) المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص١٥٦، مركز التأصيل، ط٢، ٢٠٠٩م.

وقد روي أن رجلاً جاء إلى مالك بن أنس، يعني يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من مقالته، علاه الرحضاء، وأطرق القوم، فجعلوا ينتظرون الأمر فيه، ثم سري عن مالك، فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً، ثم أمر به فأخرج"(٩١).

ويفرق أهل السنة والجماعة بين المعنى المعلوم والكيف المجهول "فالكيف غير معقول لأنه لم يرد به توقيف ولا سبيل إلى معرفته بغير توقيف، والسؤال عنه بدعة لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه ولا يجوز الكلام فيه ولم يسبق في ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعده من أصحابه"(٩٢)

وقد سار العلماء على نسق جواب الإمام مالك "وهذا الجواب من مالك رضي الله عنه شاف، عام في جميع مسائل الصفات... فمن سأل عن العلم، والحياة، والقدرة، والإرادة، والنزول، والغضب، والرضا، والرحمة، والضحك، وغير ذلك. فمعانيها كلها مفهومة. وأما كيفيتها فغير معقولة؛ إذ تعقل الكيفية فرع العلم بكيفية الذات وكنهها. فإذا كان ذلك غير معقول للبشر، فكيف يعقل لهم كيفية الصفات؟"(٩٣)

وهذا منهج أهل السنة والجماعة في باب الصفات وهو المنقول عنهم "أن كيفية الاستواء لا نعقلها، بل نجهلها وأن استواءه معلوم كما أخبر في كتابه، وأنه كما يليق به لا نعمق ولا نتحذلق ولا نخوض في لوازم ذلك نفياً ولا إثباتاً بل نسكت ونقف كما وقف السلف، ونعلم أنه لو كان له تأويل لبادر إلى بيانه

---

(٩١) رواه الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٥-٥٦، برقم١٠٤)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣٩٨/٣، برقم٦٦٤)، وأخرجه أيضًا الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث ص١٧ - ١٨، قال الحافظ بن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦، ٤٠٧) إسناده جيد وصححه الذهبي في العلو ص١٠٣.

(٩٢) ذم التأويل، ابن قدامة، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، ص٢٦، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

(٩٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ج٢، ص٨٥، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الصحابة والتابعون ولما وسعهم إقراره وإمراره والسكوت عنه، ونعلم يقينا مع ذلك أن الله جل جلاله لا مثل له في صفاته ولا في استوائه ولا في نزوله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا"(٩٤)

وفي مقابل قول أهل السنة والجماعة تجد قول أهل التكلف والتعمق يقولون ما لا دليل عليه في صفات الله تعالى ويقولون مالا يعلمون على الله تعالى؛ فيشبهون الله تعالى بخلقه ويتكلمون في الكيف وهذا نحو:

- قول المشبهة:

"والمشبهة كلهم مجمعون على تشبيه الخالق عز وجلّ بالمخلوق، فجوزوا عليه الجسمية، فقالوا: إنه جثة على صورة إنسان وأنه من دم ولحم، وله أعضاء من يد ورجل ورأس وساق، وجوزوا عليه الانتقال والمصافحة، وإن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة... وهذه الخزعبلات فيها من التنفير وسوء المقالة"(٩٥)

والسمع والعقل قطعا ببطلان قول المشبهة بأوضح المسالك "فقد ثبت بالعقل ما أثبته السمع من أنه سبحانه لا كفؤ له ولا سمي له وليس كمثله شيء فلا يجوز أن تكون حقيقته كحقيقة شيء من المخلوقات ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقات فيعلم قطعا أنه ليس من جنس المخلوقات لا الملائكة ولا السماوات ولا الكواكب ولا الهواء ولا الماء ولا الأرض ولا الآدميين ولا أبدانهم ولا أنفسهم ولا غير ذلك...فإن الحقيقتين إذا تماثلتا: جاز على كل واحدة ما يجوز على الأخرى ووجب لها ما وجب لها، فيلزم أن يجوز على الخالق القديم الواجب بنفسه ما يجوز على المحدث المخلوق من العدم والحاجة وأن يثبت

---

(٩٤) العلو للعلي الغفار، الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص١٣٩، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض

الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

(٩٥) انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص٢٠٤، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

وانظر: التبصير في الدين، طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص١١٩، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، وانظر: قانون التَّأويل، ابن العربي، تحقيق: محمد السليماني، ص٣٥٠، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جَدّة، مؤسسة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

لهذا ما يثبت لذلك من الوجوب والفناء فيكون الشيء الواحد واجبا بنفسه غير واجب بنفسه موجودا معدوما وذلك جمع بين النقيضين وهذا مما يعلم به بطلان قول المشبهة"[٩٦]

- قول الكرامية:

وتنسب الكرامية إلى محمد ابن كرام وله عدة أقوال خالف فيها أهل السنة والجماعة "وهو من الصفاتية لأنه كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه"[٩٧]

"فكَانَ يُسمِّي معبوده جسما وَكان يَقول له حد واحد من الجانِب الذِي ينتهِي إِلى العرش ولا نِهايَة له من الجوانب ...وَقد ذكر في كتاب عذاب القبر أن معبوده أحدي الذَّات أحدي الجوهر وأطلق عليه اسم الجوهر كما أطلقه النَّصارى، وأتباعه يتبرؤون من إطلاق اسم الجوهر ويطلقون عليه اسم الجسم وممّا ذكر في ذلِك الكتاب قوله أنه تعالى مماس للعرش والعرش مكان له[٩٨]

ومن بدع الكرامية أنهم يبالغون في الإثبات ويخوضون في شأن الكيفية، وأطلقوا لألفاظ مبتدعة كلفظ (الجسم) و(المماسة) "يقولون في المعبود إنه جسم لا كالأجسام[٩٩].

والعلماء أنكروا إطلاق لفظ الجسم على الله تعالى لأن " الأسماء مأخوذة بالشريعة واللغة وأهل اللّغة وضعوا هذا الاسم على كل ذي طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يُسمى جسما لخِروجه عن معنى الجسمية ولم يجئ في الشريعة ذلك فبطل"[١٠٠]

---

(٩٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٣، ص٨٧.

(٩٧) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١، ص١٠٨، الناشر: مؤسسة الحلبي

(٩٨) التبصير في الدين، الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص١١١، الناشر: عالم الكتب – لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٩٩) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، ج٢، ص٢٢٠، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ج١١، ص٥٢٤، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ ، ١٩٨٥.

(١٠٠) العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، ص١١١، الناشر: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قال الشيخ محمد بن خليفة التميمي[١٠١] "والسبب في منع استعمال هذا اللفظ لما فيه من التعمق في شأن الكيفية، ومن عادة السلف أنهم عند تقريرهم لصفة الاستواء ولسائر الصفات لا يتعمقون في شأن الكيفية ويكلون علم ذلك لله عز وجل[١٠٢]

قال ابن خزيمة: " نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه، من أمر دينهم فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول"[١٠٣]

قال شيخ الإسلام: "وأكثر أهل السنة والجماعة يقولون لا تخطر كيفيته ببال ولا تجري ماهيته في مقال"[١٠٤]

المطلب الثاني: التكلف في تأويل الصفات الإلهية:

التأويل عند الأصوليين: عبارة عن احتمال يعضده دليل يصير به أغلب على الظن من المعنى الذي يدل عليه الظاهر"[١٠٥]

---

(١٠١) هو الأستاذ الدكتور محمد بن خليفة بن علي التميمي عميد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو حالياً المدير التنفيذي لجامعة المدينة العالمية في ماليزيا، معاصر.

(١٠٢) العرش، الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ج١، ص٢٦٥، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(١٠٣) كتاب التوحيد، ابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ج١، ص٢٩٠، الناشر: مكتبة الرشد – السعودية – الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

(١٠٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣، ص٣٠٩.

(١٠٥) المستصفى، الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، ص ١٩٦، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقيل أيضاً: "التأويل المقبول الصحيح هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له بدليل يعضده"(١٠٦).

ومن خلال التعريف تجد أنهم قد جعلوا الدليل الذي يصرف المعنى عن الظاهر شرطاً للتأويل الصحيح.

وهذا ما حاد عنه أهل الكلام فجعلوا الصارف للأدلة السمعية هو دليل العقل المستمد من أدلة الفلاسفة "والفلاسفة أنفسهم كثيرًا ما يذكرون الشيء على الحَدْس والتخرص، لا على أنه يقيني عندهم، ويوردون عليه شواهد حَدْسية، فيجيء من بعدهم فيرى أن تلك حقائقُ قطعية لا تقبل الشك"(١٠٧).

فإذا علم ذلك علمنا أنهم تأولوا النصوص بغير صارف لها ولا دليل ومعلوم أن "التأويل الذي لم يقم عليه برهان تحريف الكلم عن مواضعه"(١٠٨)

قال ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية: "وقد صار اصطلاح المتأخّرين في معنى التّأويل: أنه صرف اللفظ عن ظاهره، وبهذا تسلّط المحرّفون على النصوص، وقالوا: نحن نتأوّل ما يخالف قولنا، فسموا التحريف تأويلًا، تزيينًا له وزخرفةً ليقبل، وقد ذمّ الله الذين زخرفوا الباطل، قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام:١١٢]، والعبرة للمعاني لا للألفاظ"(١٠٩)

وقد أجمل لنا ابن قدامة المحاذير التي تنبني على التأويل فقال: "إن التّأْوِيل تكلّف وحمق وتنطع وكلام بِالجهل وتعرض للخطر فِيمَا لَا تَدْعُو إِلَيْهِ حَاجَة فَإِنَّهُ لَا حَاجَة لنا إِلَى علم معنى مَا أَرَادَ الله تعالَى من صفاته

---

(١٠٦) الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، ج٣، ص ٥٣، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان

(١٠٧) آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المعَلّمِيّ اليَماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، ج ٣، ص ٣٢، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

(١٠٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٤، ص٨٤، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة

(١٠٩) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص١٨٢.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ – ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

جلّ وَعز فَإِنَّهُ لَا يُراد منها عمل ولا يتعلّق بها تكلِيف سوى الْإِيمان بها ويُمكن الإِيمان بها من غير علم معناها"(١١٠)

وهنا أشير إلى بعض الأمثلة التي تدل على تكلف المتكلمين سواء كانت في الأقوال أو الاستدلال:

المثال الأول: نفي علو الله تعالى على خلقه عند المعطلة

قال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك:١٦]

قال الرازي: والمشبهة احتجوا على إثبات المكان لله تعالى بقوله:﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك:١٦] والجواب عنه: أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين، لأن كونه في السماء يقتضي كون السماء محيطا به من جميع الجوانب، فيكون أصغر من السماء، والسماء أصغر من العرش بكثير، فيلزم أن يكون الله تعالى شيئا حقيرا بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال(١١١)

وقال أيضاً: "فنقول الإنسان إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب تنزيه الله عن التحيز والجهة. فهنا يقشعر جلده، لأن إثبات موجود لا داخل العالم ولا خارج ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم، مما يصعب تصوره فههنا تقشعر الجلود، أما إذا تأمل في الدلائل الدالة على أنه يجب أن يكون فردا أحدا، وثبت أن كل متحيز فهو منقسم فههنا يلين جلده وقلبه إلى ذكر الله"(١١٢). وقال أيضاً: "امتناع كونه تعالى في مكان"(١١٣)

---

(١١٠) تحريم النظر في كتب الكلام، ابن قدامة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، ص ٥٢، الناشر: عالم الكتب – السعودية — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م

(١١١) التفسير الكبير، الرازي، ج٣٠، ص٥٩٢ ، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

(١١٢) التفسير الكبير، الرازي، ج٢٦، ص ٤٤٦.

(١١٣) أصول الدين، الرازي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ص٤٣، مكتبة الكليات الأزهرية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وفي مقابل هذا التكلف تجد أدلة الكتاب والسنة ناطقة بإثبات العلو غير قابلة للتأويل لاختلاف سياقاتها وتنوع دلالاتها وكلام السلف والأئمة لا ينحصر في الإثبات(١١٤)

وقال شيخ الإسلام: "من التّكلّف أنْ يجعل ظاهر اللّفظ شيْئًا محالًا لا يفهمه النّاس منه ثمّ يريد أن يتأوّله؛ بل عند النّاس " أنّ اللّه في السّماء " " وهو على العرْش " واحدٌ؛ إذ السّماء إنّما يراد به العلوّ فالمعْنى أنّ اللّه في العلوّ لا في السّفل وقد علم الْمسْلمون أنّ كرسيّه سبحانه وتعالى وسع السّموات والأرْض وأنّ الْكرْسيّ في العرْش كحلقة ملقاةٍ بأرْض فلاةٍ وأنّ العرْش خلقٌ منْ مخلوقات اللّه لا نسْبة له إلى قدرة اللّه وعظمته (١١٥)

المثال الثاني: قول بعض المعتزلة: "وكلم الله معناه وجرح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن وهذا تفسير باطل"(١١٦) قال تعالى:﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤]

"قال الأصمعي والفراء وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهم من أهل اللغة: التأكيد بالمصدر يدل على ارتفاع الواسطة، فثبت أنه يقال: كلم موسى بكلام سمعه بحاسة أذنه، ولذلك امتن الله عليه في قوله:﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ [الأعراف:١٤٤] فلولا أنه سمع كلامه وإلا لم يكن للتخصيص فائدة"(١١٧). "إن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا توكّد بالتكرار... فالتأكيد بالمصدر معنى الكلام، ونفى عنه المجاز"(١١٨) وبهذا يظهر مدى التحريف في جعل اللَّفظ من مادة الكَلْمِ لا الكلامِ.

---

(١١٤) انظر: إثبات صفة العلو، لابن قدامة المقدسي، وكتاب العلو للعلي الغفار، للذهبي، ورسالة في إثبات الاستواء والفوقيّة، لأبي محمد الجويني.

(١١٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٥، ص١٠٦.

(١١٦) التفسير الكبير، الرازي، ج١١، ص٢٦٧.

(١١٧) جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، النووي، تحقيق: أحمد بن على الدمياطي، ص٥٥، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.

(١١٨) تأويل مشكل القرآن، بن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ص٧٤، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ووجه آخر للتكلف في صفة الكلام ما قاله الفخر الرازي: "الكلام صفة مغايرة لهذه الحروف والأصوات...فثبت أن الأمر والنهي معاني حقيقية قائمة بنفوس المتكلمين ويعبر عنها بالعبارات المختلفة"(١١٩)

ومن تأول كلام الله بالكلام النفسي يلزمه فيما أثبته من كلام نفسي نفس اللوازم الباطلة التي دعته للتأويل الباطل فلا يخلو كلامه من التناقض والخطل، ومن جهة أخرى خروج عن مقتضى اللغة إلى ما لا يعرف باللغة أصلاً وهو إطلاق الكلام على كلام النفس بلا تقيد.

قال الطوفي في رده على القول بالكلام النفسي: كل هذا تكلف وخروج عن الظاهر، بل عن القاطع من غير ضرورة، إلا خيالات لاغية، وأوهام متلاشية، وما ذكروه معارض بأن المعاني لا تقوم شاهدًا إلا بالأجسام، فإن أجازوا معنًى قام بالذات القديمة وليست جسمًا، فليجيزوا خروج صوت من الذات القديمة وليست جسمًا، إذ كلا الأمرين خلاف الشاهد، ومن أحال كلامًا لفظيًا من غير جسم، فليحل ذاتًا مرئية من غير جسم، ولا فرق، والعجب من هؤلاء القوم، مع أنهم عقلاء فضلاء، يجيزون أن الله تعالى يخلق لمن يشاء من عباده علمًا ضروريًا، وسمعًا لكلامه النفسي، من غير توسط صوت ولا حرف، وذلك من خاصة موسى عليه الصلاة والسلام، مع أن ذلك قلب لحقيقة السمع في الشاهد، إذا حقيقة السمع في الشاهد، إيصال الأصوات بحاسة(١٢٠).

المثال الثالث:" قول الجهمية: إنما معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٣]

إنما أراد بذلك الانتظار، فخالفت في ذلك بهذا التأويل جميع لغات العرب، وما يعرفه الفصحاء من كلامها؛ لأن القرآن إنما نزل بلسان العرب، قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل:١٠٣] وقال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزُّمَر:٢٨]

(١١٩) أصول الدين، الرزي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ص٦١، مكتبة الكليات الأزهرية.

(١٢٠) شرح مختصر الروضة، الطوفي، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج٢، ص١٣، مؤسسة الرسالة الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

فليس يجوز عند أحدٍ ممن يعرف لغات العرب وكلامها أن يكون معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة:٢٣] الانتظار[١٢١]، وإثبات الرؤية في الآخرة للمؤمنين ثابتة في الأخبار "وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهداة الأنام"[١٢٢].

والسياق يأبى تأويل النظر بالانتظار لتعديته بحرف إلى وعليه فالمعنى "أي حسنة مشرقة. وينظر إذا كان بمعنى الانتظار لا يعدى بـ إلى"[١٢٣].

المثال الرابع: "قول المريسي في قول الله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [المائدة:٦٤] فزعمت تفسيرهما رزقاه، رزق موسع ورزق مقتور، ورزق حلال ورزق حرام. فقوله ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾ رزقاه، فقد خرجت بهذا التأويل من حد العربية كلها، أو من حد ما يفقهه الفقهاء ومن جميع لغات العرب والعجم فممن تلقفته؟ وعمن رويته من أهل العلم بالعربية والفارسية؟ فإنك جئت بمحال لا يعقله عجمي ولا عربي ولا نعلم أحداً من أهل العلم والمعرفة سبقك إلى هذا التفسير"[١٢٤].

وهذا تأويل بعيد "ولا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب، ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب، حتى تأتوا ببرهان أنه عنى بها الأغرب، وهذا هو المذهب الذي إلى العدل والإنصاف أقرب، لا أن تعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فتصرف معانيها بعلة المجازات إلى ما هو أنكر، وترد على الله بداحض الحجج[١٢٥]

---

(١٢١) الإبانة الكبرى، ابن بَطَّة العكبري، تحقيق: جماعة من الباحثين، ج٧، ص٦٣ الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ- بتصرف-

(١٢٢): تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ج٨، ص٢٨٠.

(١٢٣)غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، ج ٢، ص ١٢٨٢، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت

(١٢٤) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي، الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ج١، ص٢٤١، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

(١٢٥) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي، الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، ج١، ص٨٥٥ ، =

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

والناظر إلى هذه التأويلات يجدها موغلة في التكلف فليست معروفة في كلام العرب ويأبها السياق ولم يعرفها السلف.

ويمكن أن يرد على فاسد التأويل من وجوه:

الأول: إن التأويل في باب الصفات أشد خطورة من التأويل في باب القدر قال ابن رجب: "وما أحدثه المعتزلة، ومن حذا حذوهم من الكلام في ذات الله –تعالى– وصفاته بأدلة العقول وهو أشد خطرًا من الكلام في القدر؛ لأنّ الكلام في القدر كلام في أفعاله، وهذا كلام في ذاته وصفاته[١٢٦].

الثاني: إن تأويل الصفات الإلهية مع وضوح أدلتها وكثرتها أشد من تأويل بعض الغيبيات التي جاء ذكرها أقل في الوحيين "فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والحساب، أسهل من تأويلها على أرباب التأويل، ولا يشاء مبطل أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول هذه النصوص. وهذا الذي أفسد الدنيا والدين. وهكذا فعلت اليهود والنصارى في نصوص التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم[١٢٧].

الثالث: من باب التنزل نقول لهم: إن جاز التأويل في موطن فلا يصلح في مواطن أخرى، وهذا يدل على عدم طرد أدلتهم وبالتالي فساد تأويلهم.

الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

(١٢٦) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ابن رجب، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ج٣، ص١٥، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

(١٢٧) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، ص١٥٤.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث الرابع
التكلف في معرفة أسرار القدر

القدر هو سادس أركان الإيمان كما جاء في حديث جبريل أنه سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان؟ فقال: " أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[(١٢٨)]. وهو "علم الله تعالى مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم إيجاد ما سبق في علمه تعالى أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[(١٢٩)]، ويعتقد أهل السنة والجماعة في القدر" أنه سر الله لا يدرك بجدال ولا نظر ولا تشفي منه خصومة ولا احتجاج وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يقوم شيء دون إرادته ولا يكون شيء إلا بمشيئته له الخلق والأمر كله لا شريك له نظام ذلك قوله:﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان: ٣٠] وقوله ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: ٤٩] وحسب المؤمن من القدر أن يعلم أن الله لا يظلم مثقال ذرة ولا يكلف نفسا إلا وسعها[(١٣٠)]

وطلب الإنسان معرفة أسرار القدر الغائبة أو الجدل بلا علم ولا هدى أو التعنت بسؤال لم فعل كل ذلك يعتبر تكلفاً لأنه طلب مالا يدرك بلا دليل.

ونشير هنا إلى بعض أوجه التكلف في القدر كالتالي:

"الأول: ضرب كتاب الله بعضه ببعض فينزع المثبت للقدر بآية والنافي له بأخرى ويقع التجادل في ذلك، وهذا قد رُوي أنَّه وقع في عهد النبي صلّى الله عليه وسلم وأن النبي – صلى الله عليه وسلم – غضب من ذلك ونهى عنه. وهذا من جملة الاختلاف في القرآن والمراء فيه، وقد نهى عن ذلك.

---

(١٢٨) صحيح مسلم، رقم (١) كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(١٢٩) فتح الباري، ابن حجر، ج١، ص١١٨.

(١٣٠) التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، ج٣، ص ١٣٩، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

والثاني: الخوض في القدر إثباتًا ونفيًا بالأقيسة العقلية، كقول القدرية: لو قدر وقضى ثم عذب كان ظالمًا، وقول من خالفهم: إن الله جبر العباد عَلَى أفعالهم، ونحو ذلك.

والثالث: الخوض في سر القدر، وقد ورد النهي عنه، عن علي وغيره من السَّلف، فإن العباد لا يطلعون عَلَى حقيقة ذلك(١٣١).

والعبد عاجز عن معرفة الجانب الخفي في القدر لأن العقل لا يصل إليه فهو سر الله تعالى المخفي عن الخلق فالنظر مثلاً إلى "مقدار تأثّر الْكائنات بتصرّفات اللّه تعالى وبتسبب أسبابها ونهوض موانعها لم يبلغ علم الإنسان إلى كشف غوامضه ومعرفة ما مكن الله الإنسان من تنفيذٍ لما قدّره الله، والأدلّة الشّرعية والعقليّة تقتضي أن الأعمال الصّالحة والأعمال السّيّئة سواءٌ في التّأثّر لإرادة اللّه تعالى وتعلّق قدرته إذا تعلّقت بشيءٍ، فليست نسبة آثار الخير إلى الله دون نسبة أثر الشّرّ إليه إلّا أدبًا مع الخالق لقّنه الله عبيده، ولولا أنّها منسوبةٌ في التّأثّر لإرادة اللّه تعالى لكانت التّفرقة بيْن أفعال الخير وأفعال الشّرّ في النّسبة إلى الله ملحقةً باعتقاد المجوس بأنّ للخير إلهًا وللشّرّ إلهًا، وذلك باطلٌ(١٣٢)

وهنا نشير إلى مثال للتكلف في القدر عند المعتزلة وهو بحثهم في حكمة أفعاله عز وجل، فقالوا: " لا يجوز في حكمه أن يمرض أو يسقم إلا لمنفعة وكل من قال خلاف ذلك فقد جوز على الله الظلم، ونسب إليه السفه"(١٣٣)

ويقولون أيضاً: " الله عز وجل إذا أمرض، فإنه يعوض على ذلك بمنافع هي تكثر منه في الآخرة، ولولا ذلك لما حسن منه أن يمرض البهائم والأطفال، كما لا يحسن منا أن نستأجر أجير ونتعبه ولا نعطيه الأجرة(١٣٤)

---

(١٣١) انظر: مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ابن رجب، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، ج٣، ص١٥ الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ ، ٢٠٠٣ م- بتصرف-

(١٣٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٢٧، ص ٢١٩.

(١٣٣) الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، تحقيق: فيصل بدير عون، ص٧٠، ط١، ١٩٩٨، جامعة الكويت.

(١٣٤) الأصول الخمسة،- المنسوب - للقاضي عبدالجبار، تحقيق: فيصل بدير عون، ص٨٤، ط١، ١٩٩٨، جامعة الكويت، بتصرف.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

وقد رتبت المعتزلة الأحكام على قياسهم العقلي في القدر فقالوا: "الحكمة تقتضي المنع من القبيح وتقتضي تعذيب مرتكبه بشرطه، وبإدراك قبح كثير من الأعمال، قالوا: فمن لم تبلغه دعوة أصلاً إذا أدرك ما تقدم ومع ذلك ارتكب القبيح فقد استحق العذاب، وإن قصّر في إدراك ما تقدم أو بعضه فكذلك يستحق العذاب على التقصير وعلى ارتكاب القبيح(١٣٥).

ويلاحظ مما سبق أن المعتزلة تكلفوا في القدر فقاسوا أفعال الله تعالى بأفعال العبد، فقالوا: ما يحسن من العبد يحسن في فعل الله تعالى، وما يقبح في فعل العبد يقبح في فعل الله، لذلك هم مشبهة أفعال، وعليه فقالوا يجب على فعل كذا وكذا ويقبح فعل كذا وكذا، وكل ذلك بلا دليل ولا علم، والله عز وجل يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣]

ويمكن الرد على المعتزلة من وجوه:

الأول: "أفعال الرب سبحانه لا تخلو عن مصالح وإن لم يجب على الله الاستصلاح، فقد يعلم من حال عبد أنه لو بسط عليه قاده ذلك إلى الفساد فيزوي عنه الدنيا، مصلحة له. فليس ضيق الرزق هوانا ولا سعة فضيلة، وقد أعطى أقواما مع علمه أنهم يستعملونه في الفساد، ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا أقرب إلى الصلاح، والأمر على الجملة مفوض إلى مشيئته، ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من أفعال الله تعالى(١٣٦)

ثانياً: "أن يقال لا يجب على الله شيء بل الثواب فضله والعقاب عدله لا يسأل عما يفعل عز وجل"(١٣٧) وقد رد عليهم ابن حزم في الفصل، فقال: "ليت شعري من أوجب على الله تعالى هذا الذي

---

(١٣٥) آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، ج ٢، ص ٨١، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

(١٣٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١٦، ص٢٨، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

(١٣٧) فتح الباري، ابن حجر، ج٣، ص٢٢٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

قضى بوجوبه عليه ولا بد لكل وجوب وإيجاب من موجب ضرورة وإلا كان يكون فعلا لا فاعل له وهذا كفر مما أجازه فمن هذا الموجب على الله تعالى حكما"(١٣٨)

ثالثاً: في تعذيب الأطفال: "أن يقال: خلق الله الألم في الأطفال والبهائم ليعتبر به المكلفون فينتبهوا به، لا مصلحة للأطفال والبهائم فيه بل المصلحة فيه لغيرهم"(١٣٩)

رابعاً: "أن يقال لا يلزم من خفاء حكمة الله علينا عدمها في نفس الْأمر فمن الحكم المجهولة عندنا خلق المؤذي من الْأشْياء وإيلام الْأطفال والأنبياء"(١٤٠)

وقد أحسن ابن بطال في رد باطلهم فقال: "واتهام العقول إذا قصرت عن إدراك وجه الحكمة في شيء من ذلك، فإن ذلك محنة من الله لعباده، واختبار لهم ليتم البلوى عليهم، ولمخالفة هذا ضل أهل البدع حين حكموا عقولهم وَرَدُّوا إليها ما جهلوه من معانى القدر وشبهه، وهذا خطأ منهم، لأن عقول العباد لها نهاية، وعلم الله لا نهاية له، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٥] فما أخفاه عنهم فهو سِرُّ الله الذى استأثر به، فلا يحل تعاطيه، ولا يُكلَّف طلبه، فإن المصلحة للعباد في إخفائه منهم، والحكمة في طيِّه عنهم إلى يوم تُبلى السرائر"(١٤١)، وقد تتبع العلماء شبهات المعتزلة في هذا الباب وردوا عليها مطولاً(١٤٢)

---

(١٣٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج٣، ص٥٩، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة.

(١٣٩) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ج٢، ص ٤٨٧، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

(١٤٠) الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ص ٥٢، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

(١٤١) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ج١، ص٢٠٠، دار النشر: مكتبة الرشد ، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

(١٤٢) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، ج٢، ص ٤٨٧، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المبحث الخامس

التكلف في الغيبيات

المطلب الأول: الخوض في الغيبيات

الغيب: "كل ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار [١٤٣].

قال شيخ الإسلام: "وكيفيّات ما يكون فيها من الْحساب والصّراط والميزان والحوض والثّواب والعقاب لا يعلم كيفيّته إلّا اللّه فإنّه لمْ يخلق بعد حتّى تعلمه الملائكة ولا له نظيرٌ مطابقٌ من كلّ وجهٍ حتّى يعْلم به فهو من تأْويل الْمتشابه الّذي لا يعْلمه إلّا اللّه[١٤٤]

والبحث في كيفية الغيب بلا علم ولا دليل هو تعمق وتكلف؛ فالغيبيات "أمر بالإيمان بها، ولم يبين كيفيتها، وبعضها قد لا يكون له شاهدٌ في هذا العالم المحسوس، فالبحث عن كيفية ذلك هو ممّا لا يعني، وهو مما ينهى عنه، وقد يوجب الحيرة والشّكّ، ويرتقي إلى التّكذيب"[١٤٥]

والخوض في الغيبيات بلا أدلة يعتبر تكلفاً لأن الغيب من الأمور التي لا تدرك إلا بالخبر الصادق فهو ليس خاضعا للحس ولا يمكن للعقل الوقوف عليه فليس ثم إلا الخبر فلا يزاد عليه بالبحث في كيفيته وجنسه وحقيقته ولا يرد ويدفع بحجة عدم إدراكه بالعقول فالعقول قاصرة عن معرفة كثير من تلك الحقائق.

"والاستدلال العقلي وإن دل على بعض الحقائق الغيبية؛ كوجود الله تعالى ولزوم اتصافه بصفات الكمال والدلالة على المعاد ونحو ذلك، إلا أنه لا يشمل جميع الحقائق الغيبية اللازمة للاعتقاد، ويدخل في عموم

---

(١٤٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ج١، ص١٦٣.

(١٤٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٧، ص٣٧٣.

(١٤٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ج٢، ص١٧٢، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ذلك كثير من أسماء الله وصفاته، وتفاصيل اليوم الآخر والحساب والجزاء، وما يتعلق بمبدأ الخلق ونهايته، والكتب والرسل والملائكة والجن، وتفاصيل أمور كثيرة لا يمكن أن تعلم إلا من طريق الوحي"(١٤٦)

"وإذا لم يكن العقل طريقاً لمعرفة هذه الحقائق لزم أن تكون مما يختص به الوحي"(١٤٧)

فالخوض في الغيبيات بمجرد العقل بلا دليل يعتبر تكلفا من وجهين:

الوجه الأول: أن أمور الغيب لا تدرك بالعقل.

الوجه الثاني: عدم الدليل والغيب لا يعلم إلا بالوحي.

والأمثلة على ذلك كثيرة ولكن نشير إلى مثالين في الخوض في الغيبيات:

أولاً: الكلام في حقيقة الروح

إن البحث في الروح لبيان ماهيتها وإيضاح حقيقتها ومسكنها ومخرجها ونحو ذلك من أمور التي لم يأتِ الشرع ببيانها، وهو بحث لا طائل وراءه ولا يستند إلى برهان، ولا ينبني عليه عمل، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] وقد نقل العلماء اختلاف الناس في ماهية الروح وتوسعوا في ذكر الأقوال(١٤٨) وكان الأولى بل الواجب ترك الكلام فيما لا يعلمه إلى الله تعالى وقد أحسن من أعرض عن الخوض في ذلك وقال: "لا يحتاج إلى ذكر اختلافهم لأنه لا برهان على شيء من ذلك وإنما هو شيء أخذوه عن الطّبّ والفلاسفة؟ فأما السلف، فانهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥]، فلما رأَوا أن القوم سألوا عن الروح فلم يجابوا، والوحي ينزل، والرسول حيّ، علموا أن السكوت عما لم يُحَطْ بحقيقة عِلمه أولى"(١٤٩)

---

(١٤٦) المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص١٥٢، مركز التأصيل، ط٢، ٢٠٠٩م.

(١٤٧) المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، ص١٥٣.

(١٤٨) انظر: التفسِيرُ البسِيط، الواحدي، ج١٣،ص ٤٦٥، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ، وانظر: التفسير الكبير، الرازي، ج٢١،ص ٣٩٨.

(١٤٩) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج٣، ص٥٠، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

"وقد تنازع الناس في حقيقة الروح، واختلفوا فيها اختلافا كثيرا مع القطع باتصالها بالبدن، وإنها تخرج منه وتعرج إلى السماء، وقد تخبط فيها الفلاسفة ومن وافقهم تخبط الذي به مس من الشيطان؛ لكونهم رأوها من غير جنس البدن وعالمه وصفاته، فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي أن تكون الصفات الثابتة لها من الصعود والنزول والاتصال والانفصال حقا"(١٥٠).

والآية زاجرة عن الخوض في أمر الروح بلا علم وفيها " ما يزجر الخائضين في شأن الروح المتكلفين لبيان ماهيته وإيضاح حقيقته أبلغ زجر ويردعهم أعظم ردع، وقد أطالوا المقال في هذا البحث بما لا يتسع له المقام وغالبه بل كله من الفضول الذي لا يأتي بنفع في دين ولا دنيا"(١٥١).

ثانياً: الكلام في كيفية الدابة التي تخرج في آخر الزمان قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل:٨٢].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنها لن تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات وذكر منها الدابة"(١٥٢)

وقد رُوي عن ابن الزبير قوله: "هِي دابّة رأسها من رأس ثوْر، وعينها عين خِنْزِير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن إبل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، وجلدها جلد نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين منْها اثنا عشر ذِراعا وقال ابن مسْعُود: تخرج من الصّفا تجْري كجري الْفرس ثلاثة أيّام لا يخرج إلّا ثلثها، ويبلغ رأسها السماء"(١٥٣).

---

(١٥٠) لوامع الأنوار، السفاريني، ج١، ص ٢٦٦، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية – ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

(١٥١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان بن حسن بن علي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، ج٧،ص٤٤٧، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صَيدَا – بيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

(١٥٢) رواه مسلم، (٢٩٠١) كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في الآيات التي تكون قبل الساعة.

(١٥٣) تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ج٤، ص١١٤، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

ورُوي غير ذلك فقد "حكى النقاش عن ابن عباس أنها الثعبان المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعتها العقاب حين أرادت قريش بناء الكعبة"(١٥٤) ونحو ذلك من الأقوال(١٥٥)

قال أبو حيان: "واختلفوا في ماهيتها، وشكلها، ومحل خروجها، وعدد خروجها، ومقدار ما تخرج منها، وما تفعل بالناس، وما الذي تخرج به، اختلافا مضطربا معارضا بعضه بعضا، ويكذب بعضه بعضا فاطرحنا ذكره، لأن نقله تسويد للورق بما لا يصح، وتضييع لزمان نقله"(١٥٦)

وقد حكم العلماء على هذه الروايات التي " فيها وصف هذه الدابة ووقت خروجها ومكانه أخبار مضطربة ضعيفة الأسانيد...لا طائل في جلبها ونقدها"(١٥٧).

المطلب الثاني: الخوض في تأويل الأمور الغيبية

ومن التكلف الظاهر صرف معاني الغيبيات وإخراجها عن معناها المعهود عند المسلمين وهو تكذيب وتحريف وتلفيق بين ما جاء به الشرع وما علموه من فلسفتهم.

قال الشيخ محمد بن خليفة التميمي الفلاسفة "إذا سمعوا إخبار الأنبياء بالملائكة والعرش والكرسي والجنة والنار، صاروا حائرين ومتأولين لكلام الأنبياء على ما عرفوه وعلى ما تعلموه، وإن كان هذا التأويل لا دليل لهم عليه سوى ظنهم الفاسد بأنه لا موجود إلا ما عرفوه، فقالوا العرش هو: الفلك التاسع، والكرسي هو: الفلك الثامن. فنفوا ما ليس لهم به علم فانطبق عليهم قوله تعالى ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ ﴿٣٩﴾﴾ [يونس:٣٩] وقد ثبت أنه ليس لهؤلاء دليل يتمسكون به لا من الشرع ولا من العقل، وأن

---

(١٥٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج٤، ص٢٧١، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ

(١٥٥) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ج٩، ص٢٩٢٤، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ

(١٥٦) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، ج ٨، ص ٢٦، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(١٥٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور،ج٢٠، ص٣٩.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الذي دفعهم إلى هذا القول هو أنهم نظروا في علم الهيئة وعلوم الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة، وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها ومستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة الشوقية، وأن لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة"(١٥٨)

وقد تأول الفارابي الغيبيات وأخرجها عن معانيها الشرعية واللغوية فقال: "لا تظن أن القلم آلة جمادية، أو اللوح بسيط، أو الكتابة نقش مرقوم؛ بل القلم ملك روحاني، واللوح ملك روحاني، والكتابة تصوير الحقائق، فالقلم يتلقى ما في الأمر من المعاني، ويستودعه اللوح بالكتابة الروحانية؛ فينبعث القضاء من القلم، والتقدير من اللوح"(١٥٩)

والمقصود أن أهل السنة والجماعة لم يخوضوا في كيفية الغيبيات فالكلام فيها تكلف لأنه غيب لا يدرك إلا بالوحي وكذلك لم يحرفوا عن معانيها فوقفوا على النص بلا زيادة عليه ولا تحريف له، بينما المتكلفون فخاضوا بالباطل بلا علم ولا هدى، إثباتاً ونفياً.

---

(١٥٨) العرش، الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ج١، ص ٢٨٩، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

(١٥٩) فصوص الحكم، الفارابي، شرح إسماعيل غازاني، الفص:٥٢، طهران، ١٤٨١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

الخاتمة:

مما لا شك فيه خطورة التكلف وأثره السلبي على الأمة فالناظر يجد ذلك جلياً من خلال الانشغال بما لا ينفع من العلم والعمل وترك الأولى والأهم وهو النهوض بالأمة علماً وعملاً وترك الفضول الذي أدي إلى تراجعها وتخلفها.

ومن مظاهر هذا التراجع في الأمة الولوغ في البدع بأنواعها المختلفة وصورها المتنوعة.

ومعلوم: أن التكلف من أهم أسباب الوقوع في البدع بحيث يتكلم المرء فيما لا يحسن ويطلب ما لا يبلغ؛ فيأتي بما هو خارج عن مقتضى الأدلة من الكتاب والسنة ومخالفاً لما عليه سلف الأمة، والحمد لله رب العالمين.

هذا ما أمكن إيراده وتيسر جمعه واستيفاؤه في هذا الموضوع، وإني لأرجو الله تعالى بمنه وفضله التجاوز والعفو عن الخطأ والتقصير.

مجلة العلوم الشرعية

جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

التكلف في أبواب الصفات والقدر والغيبيات دراسة نقدية

Abstract:

Doctor ABDELRAHMAN ALI MOH'D DWEIB

Professor of Creed and Contemporary Doctrines of the Faculty of Fundamentals of Religion, Imam Muhammad bin Saud Islamic University

This thesis (or dissertation) studies the issue of misinterpreting Allah' attributes and metaphysics, with the the reasons and motives behind that. In addition, a refutation of this approach has been done through it. A part of this approach is found in dealing with God's attributes, which is applied by two methods: first, adopting anthropomorphism and modality of God's attribute. Second, not accepting Allah's attributes or interpreting them in a figurative way.

This thesis has also studied this false approach in terms of interpreting predestination which can be tracked by those who seek to know what can't be known expect by Allah such as the reason behind Allah's acts.

Furthermore, this thesis has tracked this approach in terms of metaphysics which is found in two methods: first, using reason in identifying metaphysics' details. Second, interpreting them in a figurative way which is not adopting by the vast majority of Islamic scholars.

This thesis has presented a refutation of this approach through tracking the reasons behind it and how to correct them.

Lastly, this thesis has demonstrated that misinterpreting issues related to the Islamic creed is not correct and it's considered as a heresy.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

المصادر والمراجع

١. الإبانة الكبرى، ابن بطة العكبري، تحقيق: جماعة من الباحثين، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ

٢. آثَار الشّيخ العلّامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمِيّ اليماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ

٣. الأجوبة الكافية عن الأسئلة الشامية، محمد بن يوسف بن محمد بن سعد الحيدري التونسي الكافي المالكي الناشر: مطبعة السعادة بمصر.

٤. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية.

٥. أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٦. الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان

٧. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، عالم الكتب.

٨. الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ – ٢٠٠٠

٩. الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار، تحقيق: فيصل بدير عون، ط١، ١٩٩٨، جامعة الكويت.

١٠. أصول الدين، الرزي، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية.

١١. الاعْتِصَام، الشاطبي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٢. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية

١٣. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحي بن هُبَيْرَة بن محمد بن هبيرة الذهلي، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن

١٤. الاقتصاد في الاعتقاد، عبد الغني المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م

١٥. الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م

١٦. أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب، المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

١٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر — بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

١٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس ابن عجيبة الحسني، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي — القاهرة، الطبعة: ١٤١٩ هـ

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، الناشر: دار الهداية.

٢٠. تأويل مشكل القرآن، بن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٢١. تبصير المؤمنين بفقه النصر، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، مكتبة الصحابة، الإمارات، ط١، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠١ م.

٢٢. التبصير في الدين، طاهر بن محمد الأسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب — لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٣. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، محمد الصنعاني، تحقيق: مُحَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق، الناشر: مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض، المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، ط١، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م.

٢٤. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الناشر: الدار التونسية للنشر — تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٢٥. تحريم النظر في كتب الكلام، ابن قدامة، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد سعيد دمشقية، الناشر: عالم الكتب - السعودية — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٢٦. التحف فِي مَذَاهِب السّلف، الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة — مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٢٧. تحفة الباري، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، تحقيق: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٢٨. تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ،٢٠٠٣م.

٢٩. التفسِيرُ البسِيط، الواحدي، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٣٠. تفسير البغوي، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٣١. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ

٣٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٣٣. تفسير القرآن، السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م

٣٤. التفسير الكبير، الرازي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٣٥. تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

٣٦. تفسير الماوردي، الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٧. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحُميدي، تحقيق: د. زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ – ١٩٩٥

٣٨. التمهيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، عام النشر: ١٣٨٧ هـ

٣٩. تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

٤٠. تيسير الكريم الرحمن، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٤١. جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط،الناشر: مكتبة الحلواني مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١، ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م.

٤٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٣. جامع العلوم والحكم، ابن رجب، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٤٤. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٤٥. جزء فيه ذكر اعتقاد السلف في الحروف والأصوات، النووي، تحقيق: أحمد بن على الدمياطي، الناشر: مكتبة الأنصار للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى

٤٦. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط١، ١٩٨٧م،

٤٧. درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

٤٨. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي البكري الصديقي الشافعي، تحقيق: خليل مأمون شيحا، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٤٩. ذخائر الفكر الإسلامي، محمد عبداللطيف الفرفور، دار المكتبي، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

٥٠. ذم التأويل، ابن قدامة، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٥١. الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، دار المأمون للتراث — دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

٥٢. رياض الصالحين، النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

٥٣. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.

٥٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م.

٥٥. شرح السنة، البربهاري، الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، د.ت.

٥٦. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

٥٧. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م

٥٨. الصواعق المرسلة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ

٥٩. العرش، الذهبي، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

٦٠. العقيدة رواية أبي بكر الخلال، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، تحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الناشر: دار قتيبة — دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

٦١. العلو للعلي الغفار، الذهبي، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف — الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٦٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٣. غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، دار النشر: دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن - بيروت

٦٤. غريب الحديث، ابن الجوزي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ — ١٩٨٥.

٦٥. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

٦٦. فتح الباري، ابن حجر، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، وأيضاً، ط١، ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٧. فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق خان بن حسن بن علي، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٦٨. الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

٦٩. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة

٧٠. فصوص الحكمة، الفارابي، شرح إسماعيل غازاني، طهران، ١٤٨١.

٧١. فيض القدير، المناوي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.

٧٢. قَانون التَّأويل، ابن العربي، تحقيق: محمّد السّليماني، الناشر: دار القبلة للثقافة الإسلاميَّة، جَدّة، مؤسَسَة عُلوم القرآن، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٧٣. كتاب التوحيد، ابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، الناشر: مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

٧٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٧٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، وانظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧٦. لوامع الأنوار، السفاريني، الناشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

٧٧. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٣، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧م.

٧٨. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ،١٩٩٥م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٧٩. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، ابن رجب، تحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

٨٠. المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٨١. مختصر الصواعق المرسلة، ابن الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

٨٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

٨٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٨٤. المستصفى، الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٨٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١ ، ١٤٢٠ هـ.

٨٦. معالم السنن، شرح سنن أبي داود، الخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.

٨٧. معجم الصواب اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٨٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٨٩. المعرفة في الإسلام، عبدالله القرني، مركز التأصيل، ط٢، ٢٠٠٩م.

٩٠. مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الثانية.

٩١. المفاتيح في شرح المصابيح، المظهري، تحقيق: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، ط١، ١٤٣٣ هـ، ٢٠١٢ م

٩٢. الملل والنحل، الشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي

٩٣. المنتقى شرح الموطأ، أبو الوليد الباجي، مطبعة السعادة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (٢)، ص ص١٤٢٦ - ١٤٨٠ (ربيع الأول ١٤٤١هـ / نوفمبر ٢٠١٩م)

٩٤. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٩٥. الموافقات، الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م

٩٦. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي، الدارمي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٩٧. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.